وكان للمقاهي أدوار أخرى

عرفت القاهرة «البلطجة» منذ زمن بعيد فكان لكل حيّ من الأحياء ما يسمى بـ «الفتوة»، لكنه لم يكن بالصورة المثالية التي عرضها الأديب الراحل نجيب محفوظ في رواية «الحرافيش» وفي الكثير من رواياته الأخرى.

نشأت ظاهرة «البلطجة» وازدهرت، ذلك أن البلطجي وجد في الأصل ليكون حامياً لـ" فتاة الهوى "، يدافع عنها ويساعدها في الحصول على حقوقها (المزعومة) مقابل مبلغ يتفق عليه، أي أنه كان «ديوثا» يتاجر بقوة جسده في أحط مجال، في أحقر سوق.

من الأسماء التي برزت واشتهرت في هذا المجال في أوائل القرن العشرين إبراهيم عطية «فتوة الحسينية» وخليفته مصطفى عرابي وعبده الجباس «فتوة عابدين» ورزق الحشاش في منطقة الدرب الأحمر وسواهم كثر في أحياء وحارات متفرقة في القاهرة منهم : الفيشاوي (الذي ينسب إليه مقهى الفيشاوي المشهور في حي الحسين) والأسيوطي وبيومي الشرقاوي. من النساء اشتهرت "الزفتاوية" و"المغربية" و"عزيزة الفحلة". من الأجانب في حارة اليهود برزت أسماء: جداليا وباليطو ولولى.

كان أكثر هؤلاء يديرون مقاهي مشهورة في القاهرة فارضين «إتاوات» (غرامات) على أهل الحي حيث يعيشون. يذكر أن مصطفى عرابي كان يدير مقهى في شارع الظاهر يجلس فيه الأعيان وأهل الوجاهة، ثم نقله إلى شارع فاروق (شارع الجيش حاليا). أما عبده الجباس فكان يفرض «إتاواته» على سكان منطقة عابدين وحارة السقايين من بينهم أحد الباشاوات الذي كان يدفع له جنيهين اثنين شهرياً كإتاوة.

كانت المعارك تدور في ثلاثينات القرن بين من كانوا يسمون «البشاكرة» وهم مساعدو الجزارين وبين الجزارين أنفسهم في حي السلخانة قرب ميدان السيدة زينب، إلى جانب معارك فردية بين فتوات الحسينية وبعض الأحياء. كانت كل من

عزبة الصفيح في العباسية وعزبة البراك في شبرا وعش الترجمان في بولاق والترعة البولاقية في شبرا والخليفة وزين العابدين في السيدة زينب من أهم معاقل هؤلاء البلطجيّة.

البرمجي والبلطجي !

كانت منطقة الأزبكية في بداية القرن عبارة عن سلسلة من الأندية ومجالس الأنس والحانات والمراقص وقاعات القمار، إلى أماكن الدعارة التي تركزت في منطقة الوسعة وحاراتها. كان لكل منطقة في الحي مقاهيها وزبائنها. من أشهر حانات ذاك الزمن، «كافيه إجيبسيان» و«دراكاتوس» و«الإلدرالدو»، إلى العشرات من البارات الصغيرة.

فؤاد الشامي :

خلال الربع الأول من القرن العشرين، إنتقلت ملاهي الأزبكية إلى شوارع عماد الدين والألفي بك وفؤاد وانتشرت البارات والصالات والمراقص فيها، إلى انتشارها في مناطق التوفيقية والإسماعيلية (ميدان التحرير حاليا). مع مرور الوقت تخلى البرمجية الأجانب عن إدارة صالات الرقص والبارات والمقاهي وحل مكانهم البرمجية المصريون. أصبح لكل محل بلطجي لحمايته ولتأديب الزبائن الذين يرفضون دفع ما تتناوله السيدات من مشروبات.

وصل عدد الحانات في القاهرة عام ١٩٢٤ إلى ١١٣٦ (أكثر من محلات البقالة). في هذا الجو المشبع بصالات الرقص والمقاهي وشقق المقامرة والمواخير، ظهر البلطجية الذين يفرضون «الإتاوات» على أصحاب هذه الأنشطة، في مقابل حمايتهم، مهددين بأذية من يعترض طلبهم.

خصص هؤلاء «البلطجية» الراقصات بالقدر الأكبر من طلباتهم باعتبارهنّ أول فئة في المجتمع عرضة للإيذاء والأسرع في الاستجابة للدفع، لعلمهن بخطر التهديد بالإيذاء وفي مقدّمه تشويه الوجه بماء النار.

نجح هؤلاء «البلطجية» في توثيق علاقتهم بصغار ضباط الشرطة وخاصة ضباط

قسم الأزبكية الذي كان يدار في ثلاثينات القرن الفائت من الحانات والصالات التي اتخذها البلطجية مقرات لهم، حيث يحتسون المحرّم مجاناً ويأخذون «الإتاوات» من الراقصات. كانت عصابة فؤاد الشامي وشقيقه مختار أشهر عصابة من البلطجيّة في تلك الفترة.

مقتل إمتثال فوزي :

كانت إمتثال فوزي من الراقصات اللواتي حققن شهرة كبيرة في القاهرة في ذلك الزمن بفضل مهارتها في الرقص والغناء. تتلمذت على يد بديعة مصابني، ثم تركت العمل معها وشاركت زميلة لها تدعى ماري منصور في صالة في شارع عماد الدين وحققت نجاحاً كبيراً، كما حققت ثراء كبيراً. كذلك اشتركت معها في إدارة كازينو البوسفور في منطقة الأزبكية وكان في حقيقته صالة رقص ضمن إطار نفوذ كبير بلطجية عماد الدين وقتذاك فؤاد الشامي وشقيقه مختار.

إفتتحت امتثال صالتها الجديدة في ٢ مايو/أيار ١٩٣٦، فاتصل بها فؤاد الشامي عارضا خدماته لحمايتها. رفضت وأمرت في أكثر من مناسبة بطرد البلطجي وأعوانه من الصالة، إذ كانت تراهم يحتسون المحرّم بلا مقابل. لجأت إلى قسم الأزبكية الذي لم يكن يبعد عن صالتها أكثر من ٥٠٠ متر. هناك قال لها الضباط المرتشون إن دورهم ليس حماية الناس من التهديد إنما ضبط الجناة بعد حدوث الواقعة.

تعرضت للضرب ليلة ١٥ أيار فقصدت قسم الأزبكية ثانية وحررت المحضر رقم ١٨٧٠ لعام ١٩٣٦ جنح الأزبكية، لكن ضباط القسم المرتشون أخلوا سبيل الشامي وعصابته من دون عرضه على النيابة، فاتصل بها أعضاء العصابة يوم ٢٢ من الشهر نفسه وهددوها بالقتل إن لم تدفع الإتاوة. اتجهت مرة ثالثة إلى قسم الأزبكية، وأبلغت بواقعة التهديد، لكن الضابط المختص صرفها من القسم. بعد ساعتين من عودتها وأثناء ذهابها الى صالتها للإشراف على العمل اعتدى أحد أفراد عصابة الشامي عليها بزجاجة مكسورة، استقرت في رقبتها فسقطت صريعة.

أثبتت التحقيقات أن فؤاد الشامي كان يتزعم عصابة تخصصت في فرض

الإتاوات على أصحاب الصالات والراقصات والمومسات وتضم شقيقه مختار الشامي، المتهم فى جنايتين وجنح أخرى. أحيل أعضاء العصابة على المحاكمة وحكم على فؤاد الشامي ورجل عصابته الذى قتل امتثال بالأشغال الشاقة المؤبدة.

تناولت جريدة الأهرام هذه القضية على النحو الآتي:

- راقصة تذبح في ملهى عام لرفضها دفع الإتاوة للفتوات (عدد ١٩٣٦/٥/٢٣).
- جريمة البوسفور الوحشية (عدد ١٩٣٦/٥/٢٤).
- عصابات عماد الدين تنافس عصابات شيكاغو (١٩٣٦/٦/١).

قدمت السينما المصرية هذه القصة في فيلم عنوانه «امتثال» بطولة الفنانة ماجدة الخطيب، إخراج حسن الإمام.

obeikandl.com